الباب الثاني

نماذج من القصص الرمزي والواقعي في القرآن الكريم

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

القصة الرمزية في القرآن الكريم

أولاً: نظرة عامة عن الرمز في القرآن

إن المنهج القرآني المعتاد في القصص هو عدم تحديد الأشخاص وذلك للتأكيد على جانب العبرة والعظة بأن تتحول الحادثة التاريخية المحددة بالأسماء والزمان والمكان إلى قضية عامة قابلة للاستشهاد بها والاتعاظ بها في كل زمان ومكان، وبذلك يتحول الشخص من « اسم » إلى « رمز »، بل أنّ القرآن الكريم حين يذكر اسم شخص فإنه يحوله أيضا إلى رمز لفكرة معينة، ولذلك تحول « أبو لهب » و« آزر » إلى رمز للسقوط والتردي حتى لو كان ذلك الخاسر من أقرب أقارب النبي، وبذلك أسقط القرآن دعاوى النسب الشريف التي تعطي حصانة لأصحابها فخاتم النبيين محمد عليه السلام كان عمه « أبو لهب » كافرا ، وخليل الله إبراهيم كان أبوه « آزر » كافرا .. ولم يغنيا عنهما من الله شيئا لذلك تحول اسم « أبو لهب »و « آزر » إلى رمزين لقيمة أساسية من قيم الإسلام العظيم .

ونعود إلى فرعون موسى .. إن « فرعون» في حد ذاته لقب سياسي للملك المصري، وليس اسما شخصيا، وفرعون موسى ليس بدعا من أسلافه، في الطغيان، ولذلك اكتفي به القرآن رمزا لكل حاكم ظالم مدع للالوهية يسير إلى نهاية الشوط في حرب الله تعالى فيلقى جزاءه..

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: « في قصة ذي القرنين... ونحن لن ندخل هنا في مناقشة حول من هو وتحديد شخصيته إلى آخر هذا... فليس المقصود في القرآن

الكريم من تحديد أعلام القصص ... أن يحدد شخص بذاته لأن التشخيص قد يفسد القضية .. فإذا حاولنا أن نحدد من هم أهل الكهف مثلاً ... ومن هو فرعون موسى .. ومن هو اسم العبد الصالح ومن هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة في سورة يس ... ومن هو الرجل المؤمن الذي ناصر موسى وأبلغه أنّ القوم يأتمرون لقتله... إلى آخر الشخصيات التي ذكرت في القرآن... فإننا نتوه عن الحقيقة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن نعرفها... ذلك أنّ هذه الشخصيات تتكرر في كل زمان ومكان... وهي قصص مضروبة لكل عصر... والعبرة هنا تأتي بالشيوع... أي تأتي على من تنطبق عليهم القصة... في أي زمان كانوا وفي أي مكان وُجدوا... فعندما يضرب الله مثلاً بالذين كفروا... امرأة نوح... وامرأة لوط... فهو لا يعني بذلك هاتين المرأتين بالذات فقط... وإنما يعني كل إمرأة يكون زوجها صالحاً وتخونه... وعندما يضرب المثل بامرأة فرعون... فإنما يعني كل إمرأة مؤمنة وزوجها كافر... وهذا يتكرر في كل عصر... والحادثة الوحيدة التي لن تتكرر هي قصة مريم ...وعيسى ابن مريم عليه السلام .. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ ، أي نسبها لأبيها لأنها لا تتكرر...وقال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ونسبه لأمه لأنه لا يتكرر..والله سبحانه وتعالى حين يضرب الأمثال في القرآن يريد أن يعطينا الحكمة والموعظة الحسنة».

◆◆◆

ثانياً :فوائد الرمز في القصص القرآني

١ ـ عدم تحديد الأشخاص في القرآن الكريم للتأكيد على جانب العبرة والعظة.

٢ ـ إن الأشخاص التي لم يتم تحديد أسمائها، لا تنتهي بانتهاء الحدث ولكن تتكرر منها نسخ في المجتمعات والأمم والشعوب في كل زمان ومكان.

٣ ـ لا ينتهي النص القرآني عند عرض الأحداث، وإنما ينتهي إلى وضع قيمة بنائية تعليمية وإرشادية يستفيد منها الأفراد والمجتمعات في كل وقت[١].

٤ ـ ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه في الحث والزجر وتقريب المراد للعقل وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر[٢].

.....

والآن نتناول نماذج مختلفة من القصص الرمزية، ولعل قصص سورة الكهف تعكس هذا النوع من القصص الرمزي من خلال :فتية الكهف، صاحب الجنتين، موسى عليه السلام مع العبد الصالح،وأخيرا ذي القرنين. وهذه القصص تتناول أربعة أنماط من الفتن التي تعرض لبني آدم وهي:

فتنة الدين (وتتمثل في قصة فتية الكهف)،فتنة المال(وتتمثل في قصة صاحب الجنتين)،فتنة العلم (وتتمثل في قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام)،فتنة السلطة (وتتمثل في قصة ذي القرنين).

(١) انظر: الأدلة الخطابية،د/ عبد اللطيف العشماوي ص ١٣١. كلية أصول الدين ـ المنصورة ـ مصر.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي ج٤ ص ٣٨ ـ ٣٩.

١ ـ فتنة الدين:

قصة الفتية الذين هربوا بدينهم من الملك الظالم فآووا إلى الكهف حيث حدثت لهم معجزة إبقائهم فيه ثلاث مائة سنة وازدادوا تسعا وكانت القرية قد أصبحت كلها على التوحيد. ثم تأتي آيات تشير إلى كيفية العصمة من هذه الفتنة ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف]. فالعصمة من فتنة الدين تكون بالصحبة الصالحة وتذكر الآخرة.

٢ ـ فتنة المال:

قصة صاحب الجنتين الذي آتاه الله كل شيء فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله تعالى الجنتين. ثم تأتي العصمة من هذه الفتنة ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف]. والعصمة من فتنة المال تكون في فهم حقيقة الدنيا وتذكر الآخرة.

٣ ـ فتنة العلم:

قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وكان موسى عليه السلام ظنّ أنه أعلم أهل الأرض فأوحى له الله تعالى بأن هناك من هو أعلم منه فذهب للقائه والتعلم منه فلم يصبر على ما فعله العبد الصالح لأنه لم يفهم الحكمة في أفعاله وإنما أخذ بظاهرها فقط. وتأتي آية العصمة من هذه الفتنة ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ

أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف]. والعصمة من فتنة العلم هي التواضع وعدم الغرور بالعلم

٤ ـ فتنة السلطة:

قصة ذو القرنين الذي كان ملكاً عادلاً يمتلك العلم وينتقل من مشرق الأرض إلى مغربها يعين الناس ويدعو إلى الله وينشر الخير حتى وصل لقوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج فأعانهم على بناء سد لمنعهم عنهم وما زال السدّ قائماً إلى يومنا هذا. وتأتي آية العصمة ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]. فالعصمة من فتنة السلطة هي الإخلاص لله في الأعمال وتذكر الآخرة.

◆◆◆

ثالثاً: أمثلة على أسلوب القصص الرمزية في القرآن الكريم

(١) قصة صاحب الجنتين:

الفتنة التي تمثل فتنة المال والزينة الزائفة، وهي قصة صاحب الجنتين،قال تعالى:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف]

قصة صاحب الجنتين نموذجاً ومثالاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، ترسم نموذجين للنفس البشرية، النفس المعتزة بزينة الدنيا والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذجان لا يندثران لطائفتين من البشر.

تبدأ القصة بلقطات بديعة لجنتين من أعناب يحيط بهما النخل يحرسهما، فنرى الفاكهة الناضجة تملأ المكان يحيط بها النخل في تناسق بديع لطبيعة ساحرة، يجري بينهما نهراً بمياهه العذبة المتدفقة يرويهما وتتلألأ مياهه تحت أشعة الشمس، وفي ذلك ما يسمى في الدراما (ببراعة الاستهلال) هنا هدف القصة فتنة المال، لذلك تبدأ القصة بلقطات ترى فيها زينة الحياة الدنيا متمثلة في نعمة الخالق على عباده، لقطات تجعلك تمني النفس بمثلها وينشرح صدرك بتأملها ثم تدخل الشخصيات في الحدث قال الله تعالى:﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾.

وهنا البراعة والإتقان فيما يسمى في الدراما (**نقطة الهجوم على الحدث**) فالحوار مختصر مفيد تفهم منه رسم الشخصيات بلا مط ولا تعقيد أو تسطيح، فلا يقول

صاحب الجنتين: تعلم أنني صاحب هذه الجنتين المليئتين بالفاكهة وأنني غني ومثل هذا التسطيح الذي يقع فيه البشر ولكنه حوار معبر عن الهدف وعن الشخصية بأقصر الطرق وأتقنها، صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري الذي تذهله الثروة فينسى المنعم الرزاق المعطي المعز، يزهو بنفسه ويحيا في خيلاء ويحسب أن هذه النعمة خالدة لا تفنى، ينسى أن يشكر ربه على نعمته عليه، بل يظن أن جنته لن تبيد أبداً، ويتمادى في زهوه وانتفاشه فينكر الساعة ويؤكد أنها لئن قامت فسيجد خيراً من جنتيه بانتظاره، إنه غرور أصحاب الجاه والثراء ذوي النفوس الضعيفة ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف] أما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا جنة، فإنه يعتز بما هو خير وأبقى، تطمئن نفسه بعقيدته فيعتز بها، يواجه صاحبه بشجاعة ويؤنبه، يذكره بمنشئه من ماء وطين،ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق الخالق المنعم، وينذره عاقبة الكبر والخيلاء، ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار، ويحدث هنا قفزة في الزمن (ضغط زمن) فينقض علينا مشهد نذهل لرؤيته ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ فقد أحيط بالثمر ودمرت الجنتين، فترى لقطات للجنتين خاويتين على عروشهما مهشمتين محطمتين وصاحبهما يجلس في وسطهما متحسراً يقلب كفيه أسفاً على ماله ندماً على إشراكه بالله وجحوده بنعمته وهنا البراعة القصصية في إخفاء سبب تدمير الجنتين، فقد يكون حريق وقد يكون إعصار أو حشرات أو قيظ فلا يهم.

وذلك الإخفاء يدعم الحكمة من سرد القصة، فلتتوقع أي شيء من حيث لا تحتسب إذا جحدت بنعمة ربك، فكان من الإتقان إخفاء سبب التدمير، وتتضح قوة البناء في لقطات النهاية، فها هي ذا الجنتين اللتين بدأ بهما ينهي القصة بهما ولكن الحال غير الحال ... وهنا يضرب القرآن مثلاً للحياة الدنيا، فهي كالجنة المضروبة، قصيرة لا بقاء لها، فانية زائلة ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ وتعقيباً على فتنة المال يقرر القرآن أن المال والبنون هم زينة الحياة الدنيا ولكنهما ليسا بقيمة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من العبادات والأعمال الصالحة ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف].

الخلاصة: الإعجاز الفني في هذه القصة يتفق مع عناصر الإبداع الفني في القصص البشرية،بصورة لاتخطيء أبداً في قصص القرآن، وكثيراً ماتخطيء عند البشر، حتى ولو علموها، وحرسوا على إتقانها. ونحاول أن نجملها في الجدول التالي:

العنصر	مدى تحقيقه في القصة
براعة الاستهلال	تبدأ القصة بلقطات ترى فيها زينة الحياة الدنيا متمثلة في نعمة الخالق على عباده، لقطات تجعلك تمني النفس بمثلها وينشرح صدرك بتأملها ثم تدخل الشخصيات في قلب الحدث.
نقطة الهجوم على	الحوار مختصر مفيد تفهم منه رسم الشخصيات بلا مط ولا تعقيد أو تسطيح ، ومثل هذا التسطيح

العنصر	مدى تحقيقه في القصة
الحدث	يقع فيه البشر ولكنه حوار معبر عن الهدف وعن الشخصية بأقصر الطرق وأتقنها.
ضغط الزمن	البراعة القصصية في إخفاء الأسباب (سبب تدمير الجنتين، فقد يكون حريق وقد يكون إعصار أو حشرات أو قيظ فلا يهم). وذلك الإخفاء يدعم الحكمة من سرد القصة، فلتتوقع أي شيء من حيث لا تحتسب إذا جحدت بنعمة ربك، فكان من الإتقان إخفاء سبب التدمير.

ونتنقل الآن إلى فتنة العلم ومع قصة العبد الصالح.

(٢) قصة العبد الصالح:

قصة العبد الصالح نموذجاً متفرداً في التشويق والإثارة والغموض في البناء والسرد عندما يفرض نفسه للتعبير عن المعنى والهدف من القصة...الفتنة الثالثة في السورة هي فتنة العلم، العلم البشري المحدود القاصر وعلم الله المطلق وحكمته في قضاءه وقدره.إنها قصة موسى مع العبد الصالح ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ تبدأ القصة بنقطة الهجوم على الحدث مباشرة، لقد كان لموسى هدف من رحلته مصمم عليه حتى وإن مضى في طريقه حقبة من السنين، ولا نعرف في أول الأمر ما هو هذا الهدف، ثم يطلب موسى من فتاه طعام الغداء فيخبره الفتى بفقدانه ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا

نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ فيزداد الغموض درجة من تعقيب موسى على فقدان السمكة بهذه الطريقة العجيبة أن هذا ما كان يبغي، فيزداد غموض المهمة مع هذه العلامة الغامضة التي نجهلها ولا شك أن هذه البداية المشوقة (براعة الاستهلال) تثير فضولك على أن تتابع الحدث ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ ها هو هدف موسى إذن،أن يطلب العلم من العبد الصالح، ولكن علم الرجل ليس العلم البشري الواضح المعالم، ليس العلم العقلي المنطقي الذي له مقدمات وأسباب، إنما هو العلم اللدنّي، أطلعه الله على بعض منه بالقدر الذي أراد ولحكمة أرادها، فالرجل يمثل القدر، ومن ثم لا طاقة لموسى بالصبر على ما سيراه.

فهذه الأعمال ظاهرياً ستصطدم بالمنطق العقلي، وعلم موسى هو علم الأحكام الظاهرة يعلمها للناس، ولكن علم هذا العبد الصالح هو عالم الباطن، بيد أن موسى يعتزم أن يصبر إن شاء الله، فيشترط عليه العبد الصالح ألا يسأله على شيء يراه منه حتى يحدثه عنه﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ولكن مع أول تصرف غير منطقي بالنسبة لعقل موسى البشري لا يستطيع الصبر فيعترض مستنكراً ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

فالتجربة العملية أكثر وقعاً وأقوى من مجرد اتفاق بكلمات مجردة، فها هو موسى لا يستطيع الصبر ويستنكر خرقه للسفينة، فيذكّره أنه قال له سالفاً أنه لن يستطيع معه صبراً، فيعتذر موسى﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ

لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ كذلك في المرة الثانية لا يستطيع موسى الصبر ويعترض على قتله الغلام، فيذكّره العبد الصالح للمرة الثانية أنه قال له أنه لن يستطيع معه صبراً، فيعتذر موسى للمرة الثانية مؤكداً أنه تعلم الدرس وسيصبر.

وهكذا تأخذنا القصة في أجواء ومفاجئات غامضة متوالية، وتضعنا في نفس موضع موسى فتزداد حيرتنا كلما تقدم الحدث إلى الأمام، فمواقف موسى بالنسبة إلينا منطقية صحيحة، وما يزيد الأحداث غموض أننا لا نعرف مَنْ هو العبد الصالح فلا ينبئنا القرآن باسمه استكمالاً للجو الغامض الذي يحيط بنا.....

قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ ومع المرة الثالثة ينهي العبد الصالح الاتفاق ويكشف لموسى أسرار تصرفاته..﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ فالسفينة كانت لمساكين يعملون في البحر، وكان هناك ملك ظالم يغتصب كل سفينة قوية لا عيب فيها فأنقذهم تصرف العبد الصالح وأنجاهم من بطش الملك الغاشم، وهذه الحادثة تعبر عن الرزق، والغلام كان سيصبح فاسداً كافراً وكان أبواه مؤمنين فكان سيرهقهما من طغيانه، فأراد الله تعالى أن يرزقهما بدلاً منه ولد صالح، وهذه الحادثة تعبر عن الذرية، والجدار كان لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحاً ترك لهما كنز لا

يقويان عليه الآن فحفظه الجدار لهما، وهذه الحادثة تعبر عن المستقبل.....

الآن تبدو تصرفات العبد الصالح لموسى ولنا منطقية تمام المنطق، ولكن أنّى لنا معرفة ذلك فالعلم الإلهي له حكمته التي تخفى عن عقولنا ولا قبل لنا للوصول إليها.

وفي النهاية يعقب العبد الصالح بعد إخبار موسى أن ذلك كله بأمر الله تعالى وليس من أمره﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ثم يختفي العبد الصالح الذي لا نعرف من هو بنفس الغموض الذي ظهر به «وما قيمة اسمه؟ إنه يمثل الحكمة الكونية العليا التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي يمثلها».

وهنا يتجلى إعجاز القصة في بناءها وسردها، فالجو الغامض المحيط بالأحداث كان لابد منه لتأكيد المعنى، فتتركنا القصة نتيه في الغموض حتى لحظة انكشاف السر، وإخفاء الحقيقة عنّا يجعلنا نمر بالتجربة في تشويق وإثارة لنتعلم الدرس مثل موسى تماماً «وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما بدا، لكي يخطر للأذهان الدهشة بعد أن تصحو أن تسأل: من هذا؟ ولكنها لن تتلقى جواباً، لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار ثم تبقى مجهولة أبداً».

وقبل أن نلتقي بالقصة الرابعة أود أن ألقي الضوء على الملامح الإعجازية في العلوم الكونية في هذه القصة[1].

ففي قصة العبد الصالح نجد هنا ثلاثة عناصر للقصة:

(١) سمير الحفناوي: الهندسة الإيمانية في القرآن والسنة.... تحت الطبع.

١ ـ خرق السفينة.

٢ ـ قتل الغلام.

٣ ـ بناء الجدار.

وسوف نعالج كل عنصر على حدة لما به من ملامح إعجازية

أولاً: خرق السفينة:

قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾[الكهف ٧١].

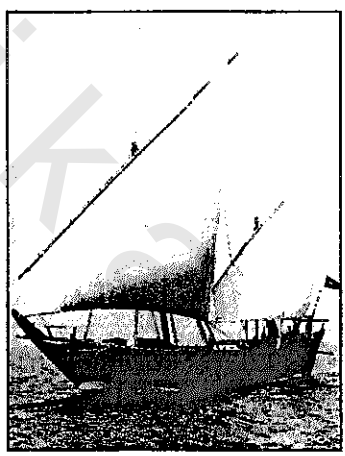

خرق السفينة فيه أربعة متغيرات:

(١) مساحة الفجوة.

(٢) قوة دفع الماء.

(٣) المسافة بين المكان التي يبدأ به بخرق السفينة، والشاطيء.

(٤) الزمن اللازم للوصول قبل أن تغرق السفينة.

١ ـ مساحة الفجوة:

مساحة الفجوة(الخرق) يعتمد على طول وعرض الفتحة في السفينة، فلابد وأن تتناسب مع الزمن اللازم للوصول إلى الشاطيء قبل أن تمتلىء السفينة بالماء وتغرق.

٢ ـ قوة دفع الماء:

وهذا عامل آخر مؤثر في إحتمالية نجاة السفينة من الغرق، فإذا كانت قوة دفع الماء كبيرة، فإن السفينة يمكن أن تمتلىء بالماء قبل وصولها إلى الشاطيء.

العوامل التي يتوقف عليها قوة دفع السائل لجسم مغمور فيه :

١ – كثافة السائل .

٢– حجم الجسم المغمور .

٣– عجلة السقوط الحر في هذا المكان .

ومن المعروف أنّ: السباحة في ماء البحر (المالح) أسهل منها في ماء النهر (العذب). لأن كثافة ماء البحر أكبر من كثافة ماء النهر وبالتالي تكون قوة دفع ماء البحر كبيرة على السابح فيسهل له السباحة، فهل كانت المياه عذبة أم مالحة؟!!.

٣ ـ المسافة بين المكان التي يبدأ به بخرق السفينة، والشاطيء: حجم الماء في السفينة يزداد بازدياد المسافة والزمن.

٤ ـ الزمن اللازم للوصول قبل أن تغرق السفينة: حجم الماء في السفينة يزداد بازدياد الزمن.

كيف للإنسان أن يوّفق بين أربعة متغيرات كهذه في آن واحد،إلا إذا كان ملما بعلوم كونية في غاية التقنية ، وعلم موسى عليه السلام ، لم يتوصل إلى هذه القوانين الرياضية والفيزيائية إذن إننا هنا أمام :

(١) ميكانيكا الموائع.

(٢) ميكانيكا الحركة.

(٣) الهندسة الإقليدية.

(٤) الفيزياء النظرية.

وهل تعلمها العبد الصالح ؟!!! كلا إنه علم لدُنِّي من عند الله تعالى.

ثانياً: قتل الغلام

قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف].

وقتل الغلام فيه أيضاً عدة متغيرات منها:

الوقت(الزمن) المناسب لقتل الغلام، أي ماهو العمر المناسب لقتل الغلام قبل أن يكون فتنة لوالديه في الدين؟ وهل يقبل والديه قتل الغلام؟ وهل هذا مباح في أي شريعة؟ وهل الغلام المقصود به طفل أم شاب لم يبلغ الحلم؟....

إنّ تعليل خرق السفينة، قد يكون مقبولاً لموسى عليه السلام، حيث أنّ الملك الذي يأخذ السفن السليمة عنوة وغصباً ما زال موجود وهو أمر حسي، أما أن نبني نتيجة حدث على أمور غيبية مستقبلاً قد لا يكون مقبولاً عند موسى عليه السلام؟ فكيف قبل موسى عليه السلام مبررات العبد الصالح في قتل الغلام؟!!! ....إذا لابد من وجود قوى غيبية مسيطرة على عقل موسى عليه السلام ومؤيدة لفؤاده ومطمئنة له، إذا لابد وأن الأمر كله من عند الله... إذا هناك علم لدني... ليس كعلم البشر، فعلم البشر يمكن أن يصطدم بالواقع وعرضة للخطأ والصواب ، أما علم الله تعالى لايصطدم بالواقع وكله صواب.

ثالثاً: بناء الجدار:

قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف].

إن قصة بناء الجدار فيها أيضاً خمسة متغيرات:

١ ـ طول الجدار

٢ ـ عرض الجدار (سمك البناء)

٣ ـ ارتفاع الجدار

٤ ـ الزمن(عمر الجدار من تمام بناءه مباشرة إلى لحظة وقوعه)

٥ ـ عمر الغلامين(أثناء وقوع الجدار).

نحن هنا أمام علوم كونية ذات صلة ببناء الجدار:

١ ـ هندسة مدنية.

٢ ـ رياضيات عامة.

٣ ـ علم نفس نمو.

والغريب هنا ليس في بناء الجدار بأي طول أو عرض أو إرتفاع فقد يكون مناسباً للبناء الموجود في هذه القرية حتى لا يلفت نظر أهلها، ولكن الغريب في مدة بقاء الجدار، حتى يسقط!!!... إن القرآن الكريم قد حدد ذلك الزمن في الآية الكريمة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾. ... ويبقى هناك عدة تساءلات...

هل يسقط الجدار عندما يبلغ الغلام الأول سن الرشد؟

هل يسقط الجدار عندما يبلغ الغلام الآخر سن الرشد؟

هل الغلامين مختلفين في العمر؟ أي هل إن كانا مختلفان في العمر لا يسقط الجدار قبل أن يبلغ الصغير سن الرشد أيضاً؟

هل لو سقط الجدار وكان عمر الأول أكبر من عمر أخيه يحتفظ بالكنز حتى يبلغ أخيه نفس عمر الأول حينما سقط الجدار؟أم كانا توأمان ووقع الجدار في لحظة بلوغهما سن الرشد معا؟!!!!!!

إذا كانت هذه متغيرات في العنصر الخامس فقط (عمر الغلامين)...إذاً ماهي القنبلة الموقوتة التي تحت الجدار، والتي تُسقط الجدار بعد أن (يبلغا أشدهما)؟!!!!

إنها ليست قنبلة بالمعنى المعروف... إنه توقيت إلهي....إنها إرادة الخالق...إنه علم لدني... لا يقاس بمقاييس ومعايير بشرية ولا يخضع لقوانين رياضية ولا حسابات هندسية.... ولا آراء فلسفية.

ويمكن أن نلخص متغيرات عناصر القصة في الجدول التالي:

متغيرات خرق السفينة	متغيرات قتل الغلام	متغيرات بناء الجدار
مساحة الفجوة.	العمر المناسب لقتل الغلام	طول الجدار
قوة دفع الماء.	مدى شرعية ذلك القتل	عرض الجدار (سمك البناء)
المسافة بين الحدث والشاطيء.	قبول الوالدين لقتل الغلام	ارتفاع الجدار
زمن الوصول للشاطيء.	قبول أهل القرية للقتل	عمر الجدار من البناء للسقوط
نوع الماء(عذب ـ مالح).		عمر الغلامين(أثناء وقوع الجدار)

حقاً إنها أبعاد تُحار عندها العقول.... لا يمكن أن تضبط هذه المتغيرات كلها إلاّ من لدن الحكيم الخبير.

(٣) قصة ذو القرنين:

تجيء قصة الفتنة الرابعة والأخيرة وهي فتنة السلطة والقوة، متمثلة في قصة ذي القرنين. تبدأ القصة بشيء عن ذي القرنين ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ فقد مكّن الله له في الأرض فأعطاه ملكاً وسلطاناً، وآتاه من كل شيء سبباً، أسباب الحكم والقوة والبناء والسلطان وكل ما هو من شأنه أن يمكّنه في الأرض، وهكذا تبدأ القصة بأسلوب رابع مختلف، تبدأ بالتعريف بشخصية البطل، فتدخل في قلب الحدث مباشرة وتتابعه لتعرف ماذا سيفعل بهذه القوة والسلطان فلا تنشغل بمصيره في معاركه.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾. انطلق ذو القرنين غازياً يفتح البلاد في مشارق الأرض ومغاربها ويعلن دستوره الذي استمده من الإيمان بالله والتقوى: للظالمين عذابه في الدنيا ثم يردّون إلى ربهم فيعذبهم عذاباً لا قبل لهم به، وللصالحين منه الحسنى واليسر والرعاية.... ثم يستكمل رحلاته في الأرض ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ وهو هنا برغم فتحه للبلاد لا تراه يعلن دستوره وذلك من إتقان السرد القصصي، فقد أعلن دستوره سابقاً فلا داعي للمط والتطويل والإعادة.

ينطلق مرة ثالثة ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ يصل إلى منطقة يعرض قومها عليه خراج من المال مقابل بناء سد يحميهم من هجمات يأجوج ومأجوج فيرد عليهم المال فقد آتاه ربه خيراً مما يعرضون، ويتطوع ببناء السد، وبعد إتمامه لا تغره قوته وبأسه وعلمه، ولكنه ينسب كل شيء لفضل ربه، ويقرر معرفته وقناعته أن كل شيء هالك قبل يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ وهكذا تنتهي قصة ذو القرنين نموذج الحاكم الصالح الذي لا يتجبر ولا يتكبر ويعلم فضل ربه عليه.

ثم تختتم السورة بمشاهد يوم القيامة، ومصير الذين يقعون في فتن الحياة الدنيا، ثم تبشير المؤمنين بالجنّة، مع تأكيد الوحي القرآني وإثبات النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تناسب وتناسق مع بداية السورة وتأكيد للمعنى والهدف منها.

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾

وهكذا نرى التلاؤم والانسجام والإعجاز في سرد القصص في السورة، فكل قصة يتم روايتها بما يناسبها من أسلوب بديع يتوافق مع الهدف منها ويساعد على

التأثير في المتلقي ببراعة في العرض وإتقان في استخدام الأحداث والتفاصيل الموحية، مما يجعلك داخل أجواء كل قصة تتواصل مع أحداثها وتستوعب درسها الديني بالإضافة إلى استمتاعك الوجداني، مع الحفاظ على هيكل ووحدة وبناء السورة.

فقصة أصحاب الكهف بدأت بملخص وضعك في هدوء وطمأنينة على أبطالها، وقصة صاحب الجنتين بدأت بلقطات لروعة الجنتين لتضعك في الجو العام الذي سيحدث فيه حوار الشخصيات، وقصة العبد الصالح بدأت بمهمة موسى المجهولة ووضعتك معه في ذاك الجو الغامض حتى تصيبك الحيرة ثم تعطيك الإجابات لتندهش وتخشع لقضاء الله وقدره، وقصة ذو القرنين بدأت بتعريف الشخصية لتمضي معه في رحلاته تتعلم من حكمته وعلمه وقوته وكيفية استخدامها في العدل والإصلاح .. فهل نجد لهذا الإتقان مثيلاً في دنيا القصص والفن والأدب؟ بالطبع لا.

◆ ◆ ◆